مدلولات النجوم

(في الأعلام والرايات والشعارات العربية والإسلامية)

- **النَجْم; النَجْمَة** Star: جِرم سماويّ مضيء بذاته، على خلاف الكواكب السيارة والأقمار التي هي مظلمة في ذاتها ولكنها تعكس ضياء الشمس. والنجوم لا تعدو أن تكون كُرات هائلة من غاز متوهج في الفضاء. وهناك نحوٌ من ستة آلاف نجم مرئيّة بالعين المجرَّدة، ونحو مئة مليار نجم أخرى غير مرئيّة بالعين المجرَّدة، وذلك في مجرَّتنا وحدها. ومعظم النجوم نجومٌ مُفردة ولكن كثيراً منها نجومٌ مزدوجة.

والنجم المزدوج عبارة عن نجمين متقاربين إلى حدّ يجعلهما يَبْدُوان، بالعين المجرَّدة; وكأنهما نجم واحد. وقد تجتمع عشرات النجوم، أو مئاتها أو آلافُها، فيتألف من اجتماعها ما يُعرف بالعناقيد أو الأقناء Clusters وبالإضافة إلى العناقيد هناك الكوكبات. والكوكبة مجموعة نجوم تبدو بالعين على شكل معين، فهي حيناً كالسبع، وهي حيناً كالعقرب، وهي حيناً كالثور. ومن أشهر الكوكبات تلك التي خلعت اسمها على الأبراج الإثني عشر التي تتألف منها دائرة البروج.

والنجوم هي من البعد يحيث تبدو لنا وكأنها مجرد نقط متلألئة على الرغم من أن كثيراً منها أكبر وأشدّ حرارة من شمسنا. وعلماء الفلك لا يستخدمون الأميال في قياس المسافات الشاسعة التي تفصلنا عن النجوم بل يستخدمون السنوات الضوئية. والسنة الضوئية تساوي المسافة التي يجتازها الضوء في الخواء خلال عام واحد، وهي ٩،٥٠٠ مليار كيلومتر. ولكي نكوِّن فكرة عن بُعد النجوم، يكفي أن نذكر أن أقرب العناقيد إلينا يَبْعُدُ عن الأرض نحواً من عشرين ألف سنة ضوئية!.

معاني النجوم: النجوم أشكال هندسية حملت منذ الأزل معاني قدسية وأسطورية وتجريدية ماورائية جاوزت المفهوم إلى المطلق، وكانت لها دلالات رموز ومدلولات تختلف باختلاف عدد فروعها أو أشعتها، فهي ترمز للعلوّ والعلياء والارتفاع والسموّ والبُعد غير المُدْرَك، كما ترمز للشرف والرقي، وقد تُمثّل شخصية قدسية أو أسطورية، أو أرضاً أو مقاطعة أو بلاداً، أو حلماً أو أملاً أو

خياراً أو هدفاً، أو ترمز لمعنى سام أو لمطلب قومي يراد تحقيقه، وهي في علم الفلك رمز للطيبة والسعادة وحسن الحظ، وهي اليوم بأشكالها الثلاثة في الأعلام العربية (الخماسية والسباعية والثمانية) تشير إلى مدلول السمو والرِفْعة والعلياء.

وتذكر الموسوعة الأمريكية Americana ان النجمة في العلم التركي كانت تمثّل القديسة "ماري" راعية مدينة القسطنطينية في العصر البيزنطي، ثم أضيفت إلى العلم التركي الأحمـــر بعد أن فتح العثمانيون المدينة المذكورة عام ٨٥٧ هـــ/١٤٥٣م. وفي مرحلة لاحقة صارت رمزاً للإسلام، واتخذتها في أعلامها عديد من الدول العربية والإسلامية.

وعند أحمد تيمور باشا في كتابه (التذكرة التيمورية) أن النجم وسط الهلال في العَلَم العثماني وضع مدّة سلطنة عبد المجيد[١]، وفي كتاب (التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية لشوكت) أنها اتّخذت بعد قيام التنظيمات الخيرية[٢] التي أصدرها السلطان عبد المجيد. وهناك رأي يقول بأنها أضيفت إلى الهلال العثماني في زمن السلطان سليم الثالث (توفي ١٢٢٣ هـــ/١٨٠٨م)، وعند البعض في زمن السلطان عبد المجيد (توفي ١٢٧٧ هـــ/١٨٦١م).

مدلولات النجوم في الأعلام والرايات العربية:

- **النجمة الخماسية** Pentagram: عنصر هندسي زخرفي جمالي مخمّس الرؤوس، عُرف في بلاد فارس بالعصر الساساني (حوالي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد)، ثم صارت حلية مميّزة في الفن والعمارة الإسلاميين، وترمز هذه النجمة للأبعاد التجريدية وما وراء الطبيعة كالقوّة المتمثّلة باليدّ ذات الأصابع الخمسة، لأن كلمة اليدّ "حمس" أو "خمس" باللغات العربية القديمة تعني القدرة والقوّة والبطش والشدّة والنشاط. وكان للرقم (خمسة) في الحضارات القديمة العربية والفرعونية والإغريقية وعند الفرس والهنود وغيرهم مدلولاته المقدّسة وأبعاده الاجتماعية أيضاً. وهي بموقعها في كبد السماء تحمل معاني السمو والرفعة والعلياء. وتعتبر من الناحية التشكيلية أجمل وأبسط من غيرها من النجوم.

ويقول د. عفيف البهنسي: "النجمة الخماسية حملت رمز الإنسان أو الجسم الإنساني الكامل عند فيثاغورس، وقام ليوناردو دافنشي بتمثيل ذلك بدائرة تمر بنقاط تمس فيها رؤوس الأطراف الأربعة أما الهرم الرأسي فهو رمزي. فالنجمة الخماسية تمثّل الإنسان الكامل في الفلسفة الإغريقية".

أقول: لا أظن أن اتخاذ النجمة الخماسية في الأعلام العربية له علاقة بالمعتقد الديني رغم أن للرقم (خمسة) في الإسلام مدلولاته، فهناك خمس سور في القرآن الكريم تبدأ بالحمد وهي سورة الفاتحة {الحمد لله رَبّ العالمين}، وسورة الأنعام {الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض}، وسورة الكهف {الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب}، وسورة سبأ {الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض}، وسورة فاطر {الحمد لله فاطر السماوات والأرض}. والصلوات في اليوم الواحد خمس.

وأصبحت هذه النجمة – إضافة إلى الهلال – رمزاً للإسلام عموماً منذ العصر العثماني واستمرّت إلى يومنا هذا في عدد من أعلام الدول العربية، وبعض الدول الإسلامية كأوزب«كستان وباكستان وغيرهما.

غير أن مدلولاتها في العالم العربي تختلف بين دولة وأخرى، فقد اتّخذها (الصومال) رمزاً لمناطقه الخمس، واتخذتها (جيبوتي) رمزاً للوحدة، وصَيَّرت كل من (مصر وسورية والعراق) ثلاث منها في علم الاتحاد الثلاثي للدلالة على عدد دول هذا الاتحاد، وكذلك (مصر وسورية) أثناء الوحدة بين الإقليمين، وتظهر هذه النجمة اليوم في أعلام (سورية والعراق واليمن وتونس والجزائر المغرب العربي وموريتانية والصومال وجيبوتي وجزر القمر).

– **النجمة السداسية** Hexagram: شكل هندسي سداسي الرؤوس، استعمله العرب المسلمون في كثير من أوابدهم الأثرية التي ما زالت ماثلة للعيان، ومنها على سبيل المثال المئذنة الشرقية (مئذنة عيسى) في الجامع الأموي بدمشق وفي غيره، وذلك قبل أن تجعل منها الصهيونية رمزاً لتُرْس داوود وتتّخذها شعاراً لها.

وتشير الموسوعة البريطانية Britannica وغيرها إلى أن النجمة السداسية لم تكن تاريخياً وقفاً على اليهود، بل كانت موجودة في العصور القديمة

التي سبقتهم حيث اتّخذت – إلى جانب النجمة الخماسية – رمزاً سحريّاً أو زخرفياً، ثم بدأت بالانتشار بينهم في العصور الوسطى ولم تكن تحمل أية مدلولات دينية، وقد ظهرت أيضاً في عديد من الكنائس خلال القرون الوسطى. واستمر بها الحال إلى أن أطلق عليها اليهود اسم (تُرْس داوود Shield of David) وباعتقادهم أنه يرمز إلى (الله) حامي النبي داوود، بعدها انتشر هذا المعتقد بين اليهود في طقوسهم السرّية ونسبوا إلى التُرْس قوى سحريّة خارقة – تماماً كما هو الحال في النجمة الخماسية التي جعلت منها التحذّرات السحرية غير اليهودية رمزاً لخاتم النبي سليمان السحري – ثم اعتبر (القبلانيون Cabalist) النجمة السداسية تعويذة تحمي من العين الشرّيرة.

وفي موسوعة Compton أنه لم يرد لنجمة داوود السداسية أو تُرْسه أي نصّ أو ذكر لا في التوراة ولا في التلمود، ومع ذلك أدخلت ضمن الطقوس اليهودية في القرون الوسطى.

وتتحدث الموسوعة الأمريكية Americana عن النجمة السداسية فتقول: "لم تكن هذه النجمة في الأصل شعاراً لليهود، بل وجدت عند عديد من الشعوب القديمة، وفي القرن الثالث عشر للميلاد اتّخذت كرمز سرّي للقَبَلانية Cabalism وهي فلسفة دينية سرّية عند أحبار اليهود وبعض نصارى العصر الوسيط، مبنية على تفسير الكتاب المقدّس تفسيراً صوفياً. ومع بدايات القرن السابع عشر الميلادي اتخذتها الجالية اليهودية في مدينة براغ بتشيكوسلوفاكية لأول مرّة رمزاً رسمياً لها. ثم تبنّتها عديد من المنظمات الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر، وفي عام ١٩٤٩م جعلتها دولة إسرائيل في علمها الرسمي".

ويرى د. عفيف البهنسي "أن اليهود يعتبرون أن المثلث الهرمي في النجمة السداسية يرمز للوجود اليهودي ويعبّر عن رغبته في السيطرة على العالم، بينما يرمز المثلث المقلوب إلى الوجود الإنساني الآخر الأقل مرتبة، وكل هذا من منطلق عنجهيتهم وادّعائهم بالتفوّق العنصري. ثم يشرح البهنسي كيف أنهم يفسّرون كون رأس المثلث الهرمي في أعلى النجمة يمثّل العقل اليهودي المتفوّق، ورأس النجمة في الأسفل يشير إلى العقل العالمي المتخلف عنهم (كذا)، أما قاعدة المثلث الهرمي فتعني: المادة والطاقة، وكذلك قاعدة المثلث المقلوب، ومن حقّ العقل اليهودي أن يستغلّ مادة وطاقة الوجود الإنساني كلّه".

أقول: إن ما جاء في الموسوعة الأمريكية من أن هذه النجمة لم تكن في الأصل شعاراً لليهود بل كانت معروفة لدى عديد من الشعوب القديمة اعتراف صريح يدحض

مزاعم الصهيونية وادّعاءاتها بنسبة النجمة السداسية أو تُرْس داوود كما يسمّونها إلى نبي الله داوود عليه السلام الذي كان بالفعل صانعاً للتروس (نحو ١٠١٠ – ٩٧٠ ق.م)، والجدير بالذكر أن صناعة الترس بشكل نجمة سداسية هو مجرّد ادّعاء لأنه يتطلّب زمناً أطول بكثير مما يتطلّبه شكل الدائرة أو المستطيل أو المربّع الذي عرفت بها التروس، كما يحتاج إلى جهد ودقة عاليين، ولا مبرّر لهذه الجهود في ذلك الزمن.

والجدير بالذكر أن النجمة السداسية اتّخذت قديماً في علم مصر أيام العثمانيين ثم استبدلها محمد علي باشا الكبير بالنجمة الخماسية، كما ظهرت أيضاً في علم (المغرب) ثم استبدلت بالخماسية.

– **النجمة السباعية** Heptagon; Heptagonal: قدّست الحضارات والشعوب العربية القديمة خصوصاً منها الآكاديّة والآشورية وغيرهما الرقم (سبعة)، وآمنت بالكواكب السبعة، فمثّلتها على شكل نجمة سباعية الرؤوس، رمزاً للتمام والكمال، فالسماوات سبع، والكواكب السيّارة سبع، وبنات نَعش سبع [برج يهتدي به الرعيان]، وانتقل تقديس العدد سبعة إلى التفكير الإغريقي وإلى بعض الفرق الإسلامية كما يقول د. عفيف البهنسي، فظهرت النجمة السباعية وتبنّتها الفلسفة الأفلاطونية المحدثة ضمن مفهوم "غنوستي"، وتعبّر فروع هذه النجمة عن تجلّيات النظام الكوني، وهي: الله، العقل، النفس، المادة الأصلية، الفضاء، الزمن، الأرض والبشر.

ويرد الرقم "سبعة" في القرآن الكريم في عديد من الآيات، **فالسماوات سبع** "سورة البقرة آية ٢٩"، و**سبع سنابل** "سورة البقرة آية ٢٦١"، و**سبع بقرات** "سورة يوسف آية ٤٣"، ويقولون **أهل الكهف سبعة** "سورة الكهف آية ٢٢".

وترمز النجمة السباعية المتّخذة في أعلام الدول العربية والإسلامية إلى **السَبْع المثاني** "سورة الفاتحة"، المؤلفة من سبع آيات، لقوله تعالى في سورة الحجر الآية ٨٧ {ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرءان العظيم}. وكانت مستعملة في علم المملكة السورية بدمشق في العهد الفيصلي، وفي العلم العراقي القديم، أمّا اليوم فمتّخذة في علم "الأردن" فقط.

– **النجمة الثمانية** Octagon; Octagonal: لم تُتَّخذ النجمة ذات الرؤوس الثمانية في أي من أعلام الدول العربية، بل اتّخذ الشكل المثمّن كأشعة تحيط بالشمس في العلم العراقي الذي رُفع بعد ثورة عبد الكريم قاسم (حكم العراق من ١٤ تموز ١٩٥٨ إلى ٩ شباط ١٩٦٣م). والدولة الإسلامية الوحيدة التي تتّخذ هذه النجمة في علمها وشعارها اليوم هي أذربيجان.

الهوامش

(١) **عبد المجيد** (١٢٣٨ هـ/١٨٢٢م - ١٢٧٧ هـ/١٨٦١م): من سلاطين الدولة العثمانية، ويُعرف بعبد المجيد الأول، ابن السلطان محمود الثاني، تولى سنة (١٢٥٥ هـ/١٨٣٩م) وقام بإصلاح الدولة فأعاد تنظيم الجيش، وعزّز التعليم، وأعلن المساواة بين جميع المواطنين على اختلاف مِلَلهم، وأصدر عدداً من التشريعات الجزائية والتجارية والبحرية. وقد عرفت إصلاحاته هذه باسم "التنظيمات"، توفي ١٨٦١م (تاريخ سلاطين آل عثمان لآصاف ١٤٩).

(٢) **التنظيمات الخيرية**: التنظيمات التي أصدرها السلطان عبد المجيد (أنظر الحاشية السابقة).

مصادر البحث

- أسماء الأشهر والعدد والأيّام: د. أنيس فريحة ١٢٠، ١٢٢ جروس برس، طرابلس، لبنان ١٩٨٨.
- تاريخ التمدّن الإسلامي: جرجي زيدان ١٨٢/١ دار مكتبة الحياة، بيروت (بلا تاريخ).
- التذكرة التيمورية: أحمد تيمور باشا ٢١٤، ٢٧١ لجنة نشر المؤلفات التيمورية، ط١، مصر ١٩٥٣.
- معجم الأعداد: جان م. صدقة ١١٧، ١٢٢، ١٣٧ مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٤.
- الحوليات الأثرية العربية السورية: المديرية العامة للآثار والمتاحف، بحث (معاني النجوم الزخرفية)، د. عفيف البهنسي، المجلد ٣١، ١٩٨١ ص ١٧.
- الموسوعة العربية العالمية ١١٠/٢٦ مؤسسة الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
- المساجد في الإسلام: الشيخ طه الولي ٢٧٩ دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٨.
- التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية: الفريق أول محمود شوكت ٨٢ ترجمه عن التركية د. يوسف نعيسة ود. محمود عامر، دار طلاس، دمشق ١٩٨٨.
- علم مصر من قديم الزمان حتى الآن: د. ناصر الأنصاري ٤٠ مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧.
- موسوعة Americana 25/609.
- الموسوعات العالمية.